72 - { فأنجيناه } يعني هودا عند نزول العذاب { والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا } أي : استأصلناهم وأهلكناهم عن آخرهم { وما كانوا مؤمنين } .

وكانت قصة عاد على ما ذكر من ابن إسحاق وغيره : أنهم كانوا قوما ينزلون اليمن وكانت مساكنهم بالأحقاف وهي رمال بين عمان وحضرموت وكانوا قد فضوا في الأرض كلها وقهروا أهلها بفضل قوتهم التي آتاهم ا D وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها صنم يقال له صدى وصنم يقال له صمود وصنم يقال له الهباء فبعث ا إليهم هودا نبيا وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا فأمرهم أن يوحدوا ا ويكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم بغير ذلك فكذبوه فقالوا من أشد منا قوة فبنوا المصانع وبطشوا بطشة الجبارين فلما فعلوا ذلك أمسك ا عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك .

وكان الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء فطلبوا الفرج كانت طلبتهم إلى ا D عند بيته الحرام بمكة مسلمهم ومشركهم فيجتمع بمكة أناس كثير شتى مختلفة أديانهم وكلهم معظم لمكة وأهل مكة يومئذ العماليق سموا عماليق لأن أباهم عمليق بن لاذا بن سام بن نوح وكان سيد العماليق إذ ذاك بمكة رجل يقال له معاوية بن بكر وكانت أم معاوية كلهدة بنت الخيبري رجل من عاد فلما قحط المطر عن عاد وجهدوا قالوا جهزوا وفدا منكم إلى مكة فليستسقوا لكم فبعثوا قيل بن عنز ولقيم بن هزال من هزيل وعقيل بن صندين بن عاد الأكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلما يكتم إسلامه وجلهمة بن الخيبري خال معاوية بن بكر ثم بعثوا لقمان بن عاد الأصغر بن صندين بن عاد الأكبر فانطلق كل رجل من هؤلاء ومعه رهط من قومه حتى بلغ عدد وفدهم سبعين رجلا .

فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان لمعاوية بن بكر وكان مسيرهم شهرا ومقامهم شهرا فلما رأى معاوية بن بكر طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون بهم من البلاء الذي أصابهم شق ذلك عليه وقال هلك أخوالي وأصهاري وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي وا ما أدري كيف أصنع بهم أستحي أن آمرهم بالخروج إلى ما بعثوا إليه فيظنون إلى قينتيه الجرادتين فقالتا : قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله لعل ذلك أن يحركهم فقال معاوية بن بكر : .

(ألا ... يا قيل ويحك قم فهينم لعل ا يسقينا غماما) .

(فيسقى أرض عاد إن عادا ... قد أمسوا لا يبينون الكلاما) .

(من العطش الشديد فليس نرجو ... به الشيخ الكبير ولا الغلاما) .

(وقد كانت نساؤهم بخير ... فقد أمسيت نساؤهم أيامي) .

(وإن الوحش تأتيهم جهارا ... فلا تخشى لعادي سهاما) .

(و أنتم هاهنا فيما اشتهيتم ... نهاركمو وليلكمو التماما) .

(فقبح وفدكم من وفد قوم ... ولا لقوا التحية والسلاما) .

فلما غنتهم الجرادتان هذا قال بعضهم لبعض : يا قوم إنما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد بن عفير وكان آمن بهود سرا : إنكم وا لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم وأنبتم إلى ربكم سقيتم فأظهر إسلامه عند ذلك وقال : .

(عصت عاد رسولهم فأمسوا ... عطاشا ما تبلهم السماء) .

(لهم صنم يقال له صمود ... يقابله صداء والهباء) .

(فبصرنا الرسول سبيل رشد ... فأبصرنا الهدى وجلى العماء) .

(وإن إله هود هو إلهي ... على ا التوكل والرجاء) .

فقالوا : لمعاوية بن بكر : احبس عنا مرثد بن سعد فلا يقدمن معنا مكة فإنه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم خرجوا إلى مكة يستسقون لعاد فلما ولوا إلى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معوية حتى أدركهم قبل أن يدعوا ا بشئ مما خرجوا له فلما انتهى إليهم قام يدعوا ا وبها وفد عاد يدعون فقال : اللهم أعطني سؤلي وحدي ولا تدخلني في شئ مما يدعوك به وفد عاد وكان قيل بن عنز رأس وفد عاد فقال وفد عاد : اللهم أعط قيلا ما سألك واجعل سؤلنا مر سؤله .

وكان قد تخلف عن وفد عاد - حين دعوا - لقمان بن عاد وكان سيد عاد حتى إذا فرغوا من دعوتهم قام فقال : ا إني جئتك وحدي في حاجتي فأعطني سؤلي وسأل ا طول العمر فعمر عمر سبعة أنسر وقل قيل بن عنز حين دعا : يا إلهنا أن كان هود صادقا فأسقنا فإنا قد هلكنا فأنشأ ا سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السحايب (يا قيل) اختر لنفسك وقومك من السحائب (ما شئت) فقال قيل : اخترت السحابة السوداء فإنها أكثر السحاب ماء فناداه مناد : اخترت رمادا رمددا لا تبقي من آل عاد أحدا وساق ا سبحانه وتعالى السحابة السوداء التي اختارها قيل بما فيها من النقمة إلى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له (المغيث) فلما رأوها استبشروا وقالوا : هذا عارض ممطرنا يقول ا تعالى : { بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم * تدمر كل شيء بأمر ربها } (الأحقاف 24 - 25) أي : كل شئ مرت به .

وكان أول من أبصر ما فيها وعرف أنها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما تبينت

ما فيها صاحت ثم صعقت فما أفاقت قالوا لها : ماذا رأيت ؟ قالت : رأيت الريح فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها فسخرها ا عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فلم تدع من عاد أحدا إلا هلك واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه هو ومن معه من الريح إلا ما تلين عليه الجلود وتلذ الأنفس وإنها لتمر من عاد بالظعن فتحملهم بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه فبينما هم عنده إذا أقبل رجل على ناقة في ليلة مقمرة مساء ثالثة من مصاب عاد فأخبرهم الخبر فقالوا له فأين فارقت هودا وأصحابه ؟ فقال : فارقتهم بساحل البحر فكأنهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هزيلة بنت بكر : صدق ورب الكعبة .

وذكروا أن مرثد بن سعد ولقمان بن عاد وقيل بن عنز حين دعوا بمكة قيل لهم : قد أعطيتكم مناكم فاختاروا لأنفسكم إلا أنه لا سبيل إلى الخلود ولا بد من الموت فقال مرثد : اللهم أعطني صدقا وبرا فأعطي ذلك وقل لقمان : أعطني يا رب عمرا فقيل له : اختر فاختار عمر سبعة أنسر فكان يأخذ الفرخ حين يخرج من بيضه فيأخذ الذكر منها لقوته حتى إذا مات أخذ غيره فلم يزل يفعل ذلك حتى أتى على السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة وكان آخرها لبد فلما مات لبد مات لقمان معه .

وأما قيل فإنه قال : أختار أن يصيبني ما أصاب قومي فقيل له : إنه الهلاك فقال : لا أبالي لا حاجة لي في البقاء بعدهم فأصابه الذي أصاب عادا من العذاب فهلك .

قال السدي : بعث ا على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال تطيربهم الريح بين السماء والأرض فلما رأوها فبادروا البيوت فدخلوها وأغلقوا أبوابهم فجاءت الريح فقلعت أبوابهم فدخلت عليهم فأهلكتهم فيها ثم أخرجتهم من البيوت فلما أهلكهم ا أرسل عليهم طيرا سوداء فنقلتهم إلى البحر فألقتهم فيه .

وروي أن ا D أمر الريح فأهالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين تحت الرمل ثم أمر الريح فكشف عنهم الرمال فاحتملتهم فرمت بهم في البحر ولم تخرج ريح قط إلا بمكيال إلا يومئذ فإنها عتت على الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها .

وفي الحديث : (إنها خرجت عليهم على قدر خرق الخاتم) وروي عن علي Bه : أن قبر هود عليه السلام بحضرموت في كثيب أحمر وقال عبدالرحمن بن سابط : بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا وإن قبر هود وشعيب وصالح وإسماعيل عليهم السلام في تلك البقعة ويروى أن النبي من الأنبياء إذا هلك قومه جاء هو والصالحون معه إلى مكة يعبدون ا فيها حتى يموتوا .

ا